تقرير من قطاع غزة

يكشف مخططات العدو الرامية الى افراغ المخيمات من سكانها

ان هذا المخطط جزء من المخطط الاسرائيلي العام الذي يقوم على اساس العمل على فرض مجموعة من الحقائق الجديدة في المناطق المحتلة تساعد على تثبيت الاحتلال كهدف اعلى او العمل على وضع اسس مادية لاستمرارية العلاقة بين هذه المناطق وجسم العدو اذا اضطر العدو للانسحاب من هذه المناطق .

لقد بدا واضحا للعدو الصهيوني ان نضال جماهيرنا في الداخل سيجعله يدفع ثمن احتلاله غاليا في المرحلة الحالية وسيهدد كل وجوده مستقبلا. لهذا فلا بد لمواجهة هذا الخط من احداث تغيير نوعي في الواقع الاقتصادي والاجتماعي للسكان بالشكل الذي يوجد نوعا من التشابك بين حياة السكان في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ وجسم العدو في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ .

اننا في هذا المقال لسنا بصدد تناول كل هذه السياسات ، لكننا سنتناول محاولة العدو اعادة التوزيع السكاني في القطاع كمحاولة من محاولات العدو فرض « الحقائق الجديدة » داخل الارض المحتلة ، وهو يسعى الى مواجهة تنامي حركة المقاومة في الداخل ومحاصرتها .

المخيمات والثورة :

لقد اصبح واضحا منذ الاشهر الاولى للاحتلال الصهيوني ان جماهير المخيمات تمثل القوة الاساسية في مقاومته . فقد كان ابناء المخيمات الرائد الاشد بروزا وعطاءا لنهر الدماء التي سالت على ارض الوطن تقاتل العدو ، وتجعل من كل يوم من ايام الاحتلال نزيفا بشريا واقتصاديا مستمرا للعدو الصهيوني ، كذلك فقد شكل البحر الجماهيري الواسع لسكان المخيم الغطاء الامني الجيد للمقاتل، ومما ساعد في تعزيز الحماية للثوار الروح النضالية الكفاحية العالية التي سادت جماهيرنا في القطاع .

لقد شكلت جماهير مخيماتنا صورة حية للشعب الصامد المناضل ، حيث كان المخيم كله بيتا واحدا تقريبا في مواجهة اي غارة او طوق لجيش الاحتلال ... كل الابواب مفتوحة للمقاتل كي يدخل فيها ... حتى ادق خصوصيات السكان اصبحت مسخرة لخدمة المقاتل . فكثيرا ما سمعنا عن المقاتل الذي اخذت الفتاة توحي الى سلطات الاحتلال انه زوجها عند دخول البيت او الذي اخذته السيدة المسنة في حضنها وقالت انه ابنها .... الى اخر هذه الممارسات البطولية الفذة التي اقدمت عليها جماهيرنا ، مما جعل سلطات العدو تعيش حالة من الرعب والحيرة الدائمين ، رعبا تمثل في خوفها من ظهور الفدائي في كل بيت وشارع ، وحيرتها في عدم قدرتها العثور على هذا الفدائي نظرا لحماية الجماهير له .

لقد بلغت حالة التعبئة والكفاح في قطاعنا ومخيماتنا على وجه الخصوص درجة اصبح فيها اطفالنا جنودا رائعين في معركة المقاومة ، وقد اصبح هتاف « بيعوا ، بيعوا » عنوانا لمطاردة اطفالنا لجنود الاحتلال ، سواء وظف هذا الهتاف . لتحذير الفدائي القريب ، او كان حربا نفسية يشنها اطفالنا على جنود الاحتلال .

وقد لجا العدو الى كل اشكال القمع الممكنة لمواجهة هذه الحالة المتنامية من المقاومة ، بدءا من سياسة القتل الجماعي وانتهاء بسياسة نسف كل بيت يشتبه في ان الفدائيين قد مروا بالقرب منه ، لكن المقاومة كانت بعد كل تصعيد من قبل العدو في بطشه تتنامى وتزداد فعاليتها ، ووصلت بالجد الذي لم تستطع دوائر الاحتلال انكار ان « الغزاة يحكمون القطاع في النهار بينما يحكمه الفدائيون في الليل » ونستطيع القول ان وجود الفدائيين كان الاكثر حضورا في النهار والليل على السواء في بعض مناطق القطاع والمخيمات بشكل خاص .

مخطط التفريغ للمخيمات :

امام هذه الصور البطولية الفذة التي مثلها مقاتلينا وجماهيرنا في القطاع ،وقف العدو الصهيوني يراجع خططه ، ويستعمل هذه المرة بالاضافه الى اساليب القمع المشهور بها على نصبت مخيماتنا بالقطاع ، والعمل على تحويلها تدريجيا الى تجمعات صغيرة للسكان يسهل تطويقها والسيطرة عليها ،

وقد اخذت بالفعل سلطات الاحتلال تنشط وتسرع في تنفيذ هذه الخطة وتخفيف سكان المخيمات حيث جاء في دافار ٦ — ٩ — ١٩٧١ « ان المرحلة الاولى من شق الطرق الامنية، وتخفيف عدد سكان المخيمات في قطاع غزة قد انتهت ، وان الاشغال نفذت في هذه المرحلة في ثلاث مخيمات كبيرة هي جباليا والشاطىء ورفح ، وقد تم في هذه الفترة هدم ١٠١١ منزلا في مخيم جباليا يقطنها ٦٥٠٣ نسمة ، وفي مخيم الشاطىء تم هدم ٥٩٨ منزلا يقطنها ٤٠٢١ نسمة اما في رفح فقد تم هدم ٢٤٨ منزلا يقطنها ٢٨٥٨ فردا .وتشير دافار الى ان العامل الذي جعل قوات الاحتلال تكتفي بهذا الحجم من عمليات التهديم في هذه المرحلة هو « النقص في المنازل » التي يمكن ان تنقل اليها العائلات التي تهدم بيوتها وهذا يشير بشكل واضح ان المسالة تتوقف على توفير المنازل الكافية حتى يمكن ان ينقل لها اكبر عدد من سكان المخيمات بشكل يفضح حقيقة المخطط الاسرائيلي ويكشف كذب ادعائه القائل ان المسالة تتعلق بحل مشكلة السكان من طرق وكهرباء وغيرها، نتال الانتهاء من هذه المرحلة بدأت سلطات العدو في الاعداد للمرحلة التالية حيث ذكرت عال هشمار تعتزم مشروعا لاستئناف تخفيف مخيمات اللاجئين وشق الطرق فيها » .

وقد كتبت هارتس ايضا في ٢١ — ١٠ ان الحكومة الاسرائيلية صادقت في الاونة الاخيرة على مشروع ينقل ٣٥ الف لاجيء من المخيمات في قطاع غزة الى مساكن جديدة سيتم بناءها في اطار احياء تقام في مدن القطاع »

رفض السكان ترك مخيماتهم :

ولم تستطع سلطات الاحتلال واجهزة دعايته الا ان تعترف بان عمليات الهدم والتهجير التي اضطرت اليها تتم بدون موافقة السكان بل بارغامهم بالقوة، فقد جاء في جريدة معاريف في ٢٦ — ٧ — ٩٧١ « يوم السبت الماضي تظاهرت مائة عائلة امام المكتب الرئيسي لوكالة الغوث في القطاع — لتثبت للمخربين انها لا تنتقل بارادتها بل بالقوة » .

ان معاريف في هذا القول قد اكدت حقيقتان حاولت ان تجعل منهما نفيا لبعضهما البعض ، الحقيقة الاولى تثبيت ان الفدائيين يشكلون مظهرا اساسيا من مظاهر وجود جماهيرنا في القطاع ، بل اكثر من ذلك ان هذا التواجد يصل في قوته الى الحد الذي يجعل السكان يتمردون على كل الارهاب الصهيوني وتلبى « رغبات الفدائيين » .

اما الحقيقة الثانية فهي ان عمليات التهجير لسكان المخيمات تتم بالقوة ، حيث مهما حاولت سلطات الاحتلال ان تعطي حركة السكان الرافضة للتهجير من اسباب تظل الحقيقة الواضحة في ان هذه العملية لا تتم بتعاون السكان ورضاهم .

واذا كانت معاريف لم تر ولم تفهم من تمسك السكان بمخيماتهم الا محاولة من هؤلاء السكان الاستفادة من الخدمات ! التي تعدم داخل المخيمات والرغبة في العيش مع لاجئين اخرين !! كما جاء في عددها الصادر في ٢٦ — ١٢ — ١٩٧١ فان نظرة جماهيرنا تختلف كثيرا عما تراه معاريف ، حيث لم تنظر جماهيرنا يوما الى هذه المخيمات الا باعتبارها محطة مؤقتة وان الانتقال الاخر لا بد الا ان يكون الى ارضهم ووطنهم فلسطين — كل فلسطين — وهكذا فقط نستطيع ان نفهم تمسك الفلسطيني بمخيم جباليا ورفح في غزة ، ومخيم بلاطة في نابلس ، والوحدات في عمان والرشيدية والنبطية في جنوب لبنان ... وعندما نقول الرشيدية والنبطية نتمثل امامنا غارات اسرائيل المتكررة على هذين المخيمين، وتمسك جماهيرنا في بيوتها داخل هذه المخيمات بالرغم من تحولها في احيان كثيرة الى انقاض ، وبالرغم من حالات الانتقال التي تقدم عليها بعض عائلاتنا بغرض تامين سلامة اطفالهم لحظة الغارة كلنا نرى عودة سريعة للمخيمات عند توقف الغارة .

من هنا يتضح ان مشروع اسرائيل الحالي في منطقة الشيخ رضوان بغزة ليس جديدا وهو جزء من مخطط خبرته جماهيرنا ورفضته وستقاومه ايضا في مراحله الجديدة . حيث اصبح من الواضح ان المشكلة الرئيسية التي كانت تتصدى لها اسرائيل في هذا الاجراء هي المشكلة الامنية ، اي ان توفير اكبر حجم من الامن الممكن لقوات الاحتلال عن طريق الحد من حجم هذا البحر الجماهيري الذي يوفر المد والحماية للفدائيين ، وهنا لا بد من التاكيد ان فترات الهدوء التي مر بها القطاع لم تكن نتيجة نجاح هذا المخطط ، بل كانت بالدرجة الاولى نتيجة لوقف القتال على الجبهات العربية المختلفة من جهة، ولمجازر ايلول وتموز التي ارتكبها النظام العميل في الاردن بحق جماهيرنا وثوريتها من جهة اخرى هذه العوامل جعلت القطاع جزيرة ملتهبة في ظل محيط راكد الى حد كبير ، مما مكن قوات العدو من محاصرة هذه الجزيرة والنجاح احيانا في محاصرة لهب الثورة .

التفريغ ومخططات التسوية :

اذا كان العنوان الاساسي لسياسة التهجير امنيا فهل تفقد هذه السياسة اهميتها في ظل التوجه الجاد للوصول الى تسوية ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تكتسب اهمية خاصة في هذه المرحلة ، حيث تدفع بعض العقبات التي تواجهها التسوية متواكبة مع مثل هذه السياسات التي يقدم عليها العدو الصهيوني في المناطق المحتلة الكثيرين الى الوصول الى نتيجة تقول ان التسوية مستحيلة وان العدو لا ينوي الانسحاب من هذه المناطق مهما كان الثمن السياسي الذي سيقدم له . وان كل ما يجري هو محاولات من العدو الصهيوني مدعوما بالسياسة الامبريالية الامريكية لكسب الوقت والعودة من جديد الى حالة اللاسلم واللاحرب التي عاشتها المنطقة .

ان الوصول الى هذه النتيجة امرا خطيرا وخاطئا ، حيث من شان الوصول الى هذه النتيجة ان يجرد طاقات الجماهير ويفوت عليها فرصة رص صفوفها لمواجهة التسوية المطروحة الان والعمل على احباطها نظرا لوعي الجماهير لما تحمله هذه التسوية من نتائج تهدد مستقبل نضال الجماهير من اجل تحرير الوطن ، وبرايئا فان هذه السياسات التي يقدم عليها العدو الصهيوني في المناطق المحتلة لا تتعارض مع التوجه الجاد للوصول الى تسوية اكثر من ذلك فانها ستستمر في ظل هذا التوجه وما يفسر ذلك عاملين :

١ — ان حديثنا عن التسوية .. بل طبيعة التسوية المطروحة نفسها وما تفرض من تطويع وتطويق لارادة الجماهير ليست مسالة اشهر محدودة بل اننا اكدنا باستمرار ان التسوية عملية معقدة تعترضها الكثير من العقبات التي تحتاج الى الوقت والجهد الكافيين لتذليلها مع الاخذ بعين الاعتبار احتمالات التعثر التي قد تعترض طريق تذليل بعض العقبات ، وهذا يعني ان بيننا وبين الوصول الى التسوية فترة زمنية تترك حيزا واضحا لتصاعد الحالة الثورية في ارضنا المحتلة بالشكل الذي يهدد بالتعاون مع مجموعة من العوامل الاخرى ليس فقط مخطط التسوية الذي يسعى كيسنجر وبن وراءه كل قوى الامبريالية الامريكية لتنفيذه ، بل ايضا الوجود الصهيوني في ارضنا المحتلة ، بالشكل الذي يحتم على العدو الصهيوني ان يعمل على قمع اي تحرك جماهيري وتطويق احتمالات تصاعد وتنامي الحالة الثورية لجماهيرنا في الداخل .

٢ — العامل الثاني الذي يجعل هذه السياسة مستمرة حتى في ظل التوجه نحو التسوية ، هو تصور الامبريالية والصهيونية لمستقبل المنطقة بعد انجاز التسوية ، حيث اصبح واضحا ان ما تريده الامبريالية من التسوية هو ترتيب لاوضاع المنطقة يحافظ على كل مصالح الامبريالية فيها ، وتحقيق للوجود الاسرائيلي الشرعي وبمنحه الاعتراف العربي ، وهذه خطوة تحتاج الى توفير كل الظروف الموضوعية المحلية التي تمكن من الوصول الى انجاحها .

وهنا تحتل مخيماتنا حيزا كبيرا من مخططات الامبريالية ، حيث شكلت وتشكل هذه المخيمات باستمرار عنوانا صارخا للقهر القومي والطبقي الذي عانت وتعاني منه جماهيرنا منذ الهجمة الصهيونية الامبريالية على فلسطين في عام ١٩٤٨ ، وهي بهذا تشكل الظرف الموضوعي الذي سينسف نتائج التسوية التي تسعى الامبريالية والصهيونية الوصول اليها . ولهذا فلا بد من تطويق تفاعلات هذا الظرف الموضوعي من الان تسهيلا لمهمة توفير شروط استمرار التسوية .

الا ان ما نريد ان نؤكده هنا ان كل هذه المحاولات ايا كانت اسماءها او اشكالها لن تنجح ابدا في خلق المناخ الذي يمكن العدو الصهيوني من الاستمرار في احتلال اي شبر من فلسطين ... قد ينجح في تاجيل الصراع لفترة من الوقت لكن الفلسطيني بذاته سيظل ابدا هو الظرف الموضوعي والانسان الذي سيدمر هذا العدو ، وسننتصر .

في الوقت الذي تتصاعد فيه احتمالات الوصول الى تسوية سياسية للصراع القائم في المنطقة بين جماهيرنا وقواها الوطنية والتقدمية من جهة والعدو الامبريالي الصهيوني من جهة اخرى يكون بنتيجتها حسم الصراع لمصلحة تثبيت العدو الصهيوني واعطائه الشرعية العربية والفلسطينية اولا ، وفتح ابواب المنطقة امام الاحتكارات الامبريالية ثانيا وضمان استمرارية وسيطرة الرجعية العربية ثالثا في هذا الوقت — وبالرغم من فشل كيسنجر المؤقت في تنفيذ مخططه الذي لا يهم الامبريالية كثيرا سواء وصلت باهدافها المذكورة بعنوان « الخطوة — الخطوة » او باي عنوان اخر ترد التقارير من الارض المحتلة تشير ان العدو الصهيوني لا يزال يعطي مسالة تهجير جماهيرنا من مخيمات قطاع غزة ،واعادة توزيع للخارطة السكانية في القطاع اهتماما كبيرا في مخططاته، حيث يقوم حاليا بعملية مسح لمنطقة الشيخ رضوان شمالي غرب مدينة غزة بغرض اقامة مسكان شعبية هناك ، بدعوى ان هذه المساكن للموظفين العاملين في القطاع فقط . في الوقت الذي تؤكد فيه معلوماتنا ان هذه الخطوة تتم ليس فقط من اجل الموظفين كما تدعي سلطات الاحتلال ولكن من اجل تسكين جزءا من سكان المخيمات وبشكل خاص مخيمي الشاطىء وجباليا في هذه المساكن . استمرارا للخط الذي بدا العدو الاسرائيلي منذ الفترات الاولى للاحتلال القائم على افراغ المخيمات من سكانها تارة تحت عنوان تخفيف الازدحام، وتارة تحت عنوان توسيع الشوارع او مد خطوط الكهرباء.. الخ .